فتح الإسكندرية[1]

زحف عمرو إلى الإسكندرية واشتبك بالروم فى موقعة كبيرة عند دمنهور، انهزم فيها الروم وانحازت فلولهم إلى الإسكندرية فتبعهم عمرو إليها وكانت الإسكندرية فى ذلك الوقت قصبة الديار المصرية ومحصنة من البر، ويحميها البحر الأبيض من شمالها ويدافع عنها نحو من خمسين ألف مقاتل.

حاصر عمرو الإسكندرية فاستعصت عليه بذلك، فترك بظاهرها جيشًا يحاصرها وسار هو لإخضاع البلاد الواقعة فى شمالى الدلتا، وفى ذلك الوقت كانت الحالة السياسية مضطربة فى القسطنطينية، وكان الحكم الفعلى للإمبراطورة مرتينا فاستدعت المقوقس من منفاه وفوضت إليه إنهاء الحرب فى مصر، وأفلح المقوقس هذه المرة فى إقناع حكومة القسطنطينية لضرورة الصلح مع العرب، فعاد إلى الإسكندرية ثم التقى بعمرو وعقدا معاهدة بالشروط الآتية:

١- أن يدفع كل من تجب عليه الجزية دينارين فى كل سنة.

٢- أن تكون هدنة بين الفريقين مدتها أحد عشر شهرًا.

٣- أن تجلو الجيوش الرومانية عن الإسكندرية على أن يدفعوا جزية شهر عند رحيلهم.

٤- ألا يتدخل المسلمون فى شئون المسيحيين الدينية، وألا يتعرضوا لكنائسهم بسوء.

٥- أن يسمح لليهود بالإقامة فى الإسكندرية.

٦- ألا يحاولوا استرداد مصر ثانية.

٧- أن يكون بيد المسلمين مائة وخمسون من مقاتلة الروم وخمسون من غير المقاتلة، ضمانًا لتنفيذ هذه الشروط.

---

(١) كانت الإسكندرية فى ذلك الوقت أول مدينة تجارية فى العالم وثانية حواضر الإمبراطورية الرومانية.

وأمضيت هذه المعاهدة فى ديسمبر سنة ٦٤١م.

ولما سمع أهل الإسكندرية بهذه الشروط هاجوا وأبوا، ولكن المقوقس استطاع أن يقنعهم بأن هذا الصلح خير لهم.

وفى أول المحرم سنة ٢١هـ تسلم العرب أول جزيرة مصرية من المقوقس.

ومع أن الإسكندرية قد سلمت للعرب، فإن كثيرًا من المدن الساحلية لم تقبل هذه الشروط، فما زال بها عمرو حتى أخضعها جميعها فى أواخر العام المذكور.

وفى سبتمبر سنة ٦٤٣م غادر الروم الإسكندرية ودخلها العرب.

أراد عمرو أن يجعل الإسكندرية قصبة البلاد كما كانت قبل الفتح فكتب إلى الخليفة بذلك، فسأل عمر الرسول: هل يحول بينى وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إذا أجرى النيل، فكتب إلى عمرو: «إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت»[1] فتحول عمرو عن الإسكندرية إلى المكان الذى كان معسكر المسلمين حينما حاصروا حصن بابليون واختط مدينة الفسطاط وهى أول مدينة اختطها المسلمون فى مصر بعد الفتح الإسلامى سنة ٢١هـ.

مكتبة الإسكندرية:

نسب بعض المتأخرين من المؤرخين إحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمرو ابن العاص، وزعم أن عمر بن الخطاب هو الذى أمره بإحراقها، وناقش كثير من علماء الفرنجة مثل جبون، وبطلر، وسديو، وجستاف لوبون وغيرهم هذه المسألة ولم يقطعوا فيها برأى، بل ارتابوا فى صحة هذه التهمة وقالوا: إنها

(١) التنبيه والإشراف للمسعودى ص ٣١١، الخطط للمقريزى (١/ ٢٩٦) وراجع كتابنا تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٢٤٠- ٢٤٣.

تخالف التقاليد الإسلامية ولا يؤيدها أحد من المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامى مثل أوتيخا الذى أسهب فى وصف الفتح الإسلامى لمصر، كذلك لم يرد لها ذكر فى تاريخ الأقدمين كاليعقوبى والطبرى والبلاذرى والكندى وابن عبد الحكم، كما لم يؤيده من جاء بعدهم وأخذ عنهم كالمقريزى والسيوطى وغيرهما.

ناقش الكثير من المؤرخين والفرنجة هذه التهمة مناقشة طويلة، وأخيراً هذا الاتهام يعوزه الدليل القوى المقنع[1].

●●●

(١) راجع تاريخ الإسلام السياسى للدكتور حسن إبراهيم.

obeikandl.com